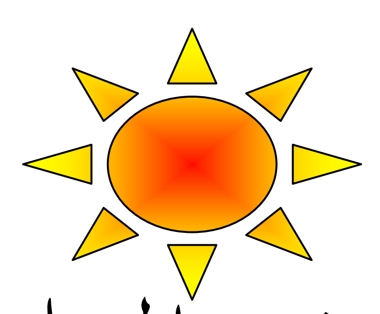
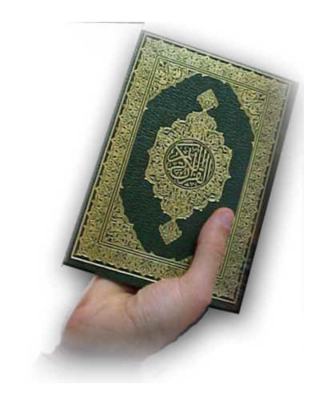
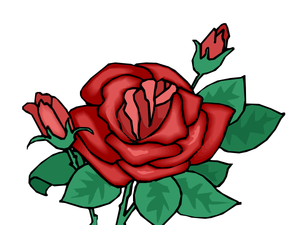




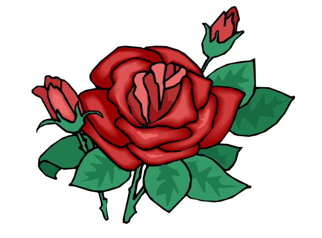
تنبيه المسلمين



إلى وجوب التجويد



وتحريم التكلف والتلحين





تأليف



محمد بن عيد الشعباني



غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

حاصل على الإجازة العالية (الليسانس) فى القراءات وعلومها



جامعة الأزهر

وشيخ القراء بمقرأة مسجد المساعي بأوقاف المنوفية

ومقرئ القراءات العشر

بسم الله الرحمن الرحيم 

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) (النساء ١) .

(يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

(يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) [آل عمران :١٠٢] أما بعد : فإن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد : فيقول راجي رحمة الرحمن (محمد بن عيد الشعباني) : إنَّ الله تعالى قد اصطفى للعلم أقوامًا فأكرمهم بميراث النبيين ، وجعلهم هداة للناس وأئمة في الدين ، ووعدهم بذلك أرفع الدرجات في جنات المتقين ، ولاسيما حملة القرآن وأهله ، الذين هم أهل الله وخاصته الذين تعلّموه وعلَّموه فشهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالخير إذ يقول : ((خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه)) ، و ((إنَّ الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين)) .

نسأل الله الجليل كما علمنا تلاوة حروفه أن يلزمنا إقامة حدوده ، إذ المقصود العمل بأحكامه والوقوف عند حلاله وحرامه.

ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا لذكره وأن يعيننا على شكره فهو سبحانه الذي علمنا من الجهالة ، وهدانا من الضلالة ، وأغنانا من الفاقة ، وهو الذي يسر لنا

الجمع والتأليف ، فله الحمد وله الشكر على نعمه التي لا تحصى ولا تعدّ ، ثم أما بعد...

فقد يسر الله عز وجل لعبده الفقير إلى عفوه وفضله أن جمعت متنا في تجويد ذكره الحكيم وكلامه العظيم ، ليكون نورا لمن أراد أن يقوم بما أوجبه الله عز وجل على من أراد أن يقرأ القرآن من تصحيح الحروف وحسن الأداء واجتناب اللحن ، وهو مع هذا لا يغني عن التلقي الذي هو الأصل في تعلم القرآن .

وقد نظمته على غرار ما نظم الإمام الشاطبي - رحمه الله - بل إني قد اقتبست منه بعض كلماته العذبة ، وشتان بين الثرى والثريا ولكن الشاعر الحكيم يقول :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

وقد اجتهدت وسعي في تيسيره ليكون أساسا في بابه وأصلا لطلابه ، فهو كالمقدمة لمتننا المسمى (جمع الشمل في القرآت العشر) حيث جمعنا فيه القرآت العشر من الشاطبية والدرة والتحريرات في متن واحد أحسبه يسيرا كلمه دقيقا حكمه ، وجاء بحمد الله أقل عددا من أبيات الشاطبية ، وإن فاقته الشاطبية بسبقها وجلالة ناظمها وبلاغة شاعرها ، ولكن كم ترك الأول للآخر ، وليس الهدف أن نكاثر أو نفاخر ، وإنما الهدف أن نكون من خدم العلم وطلابه فرارا من وصمة الجهل وعاره .

ومنذ سنوات وأنا أراجع هذا المتن وأصححه وأحاول تيسيره وأنقحه ، حتى تم مائة بيت منقحة مصححة ، ولله الحمد والمنة ، وقد سميته فتح الولي الحميد في أصول التجويد ، وها أنذا أشرع في شرحه بفضل من الله تعالى شرحا مختصرا فنسأل الله المعونة والسداد .

ونظرا لشدة الحاجة إلى معرفة حكم التجويد وحكم التكلف فيه وحكم القراءة بالمقامات والألحان فقد أفردت منه هذا الجزء حتى ييسر الله عز وجل طبع الكتاب كاملا متنا وشرحا .

وينبغي قبل الشروع في المقصود ، تقديم الإسناد الذي تلقيت به القرءان الكريم وقراءاته ، تحدثاً بنعمة الله ﷻ عليّ ، فأقول وبالله التوفيق : قرأت القرءان الكريم بالقراءات العشر من الشاطبية والدرة على شيخي الكريم محمد الفرماوي بن قطب بن حماد ـ رحمه الله ـ وأخبرني أنه قرأ القرءان بقراءاته العشر التي تواترت إلينا على أئمة أعلام منهم الشيخ / حسن بن إبراهيم أبو دعادر الشموتي والشيخ / عامر بن السيد بن عثمان ، فأما الشيخ الشموتي ـ رحمه الله ـ فقرأ على الشيخ / أحمد بن يوسف الشهير بعجور الصغير وهو على والده الشيخ / يوسف بن محمد الشهير بعجور الكبير وهو على الشيخ / علي بن صقر الجوهري وهو على الشيخ / مصطفى بن علي الميهي وهو على والده الشيخ / علي بن عمر الميهي وهو على الشيخ / سالم النبتيتي وهو على الشيخ / علي بن محمد البدري وهو على الشيخ / أبي السعود أحمد بن عمر الإسقاطي وهو على الشيخ / سلطان بن أحمد المزاحي وهو على الشيخ / سيف الدين ابن عطاء الله البصير وهو على الشيخ / شحاذة اليمني .

وأما الشيخ عامر ـ رحمه الله ـ فقد قرأ على الشيخ / علي بن سبيع بن عبد الرحمن وهو على الشيخ / حسن بن محمد الجريسي الكبير وهو على الشيخ / أحمد بن محمد الدري التهامي ، وقرأ التهامي على الشيخ / أحمد بن محمد سلمونه وهو على الشيخ / إبراهيم العبيدي وهو على الشيخ / عبد الرحمن بن حسن الأجهوري وهو على الشيخ / أحمد البقري وهو على الشيخ / محمد بن عمر البقري وهو على الشيخ / عبد الرحمن اليمني وهو على الشيخ / شحاذة اليمني المتقدم ، وهو على الشيخ / محمد بن سالم الطبلاوي وهو على الشيخ / زكريا بن محمد الأنصاري وهو على الشيخ / رضوان بن محمد العقبي وهو على الإمام / أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري وهو على الإمام / عبد الرحمن بن أحمد البغدادي وهو على الإمام / محمد بن أحمد الصائغ وهو على الإمام / علي بن شجاع الضرير وهو على الإمام / القاسم بن فيره الشاطبي وهو على

الإمام / علي بن هذيل البلنسي وهو على الإمام / أبي داود سليمان بن نجاح وهو على الإمام/ أبي عمرو الداني وهو على الإمام / أبي الحسن طاهر بن غلبون وهو على الإمام/ علي بن محمد الهاشمي وهو على الإمام /أحمد بن سهل الأشناني وهو على الإمام / عبيد بن الصباح النهشلي وهو على الإمام/ حفص بن المغيرة الأسدي وهو على الإمام /عاصم بن أبي النجود الكوفي وهو على الإمام /أبي عبد الرحمن السلمي وهو على الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وهو على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو على أمين الوحي جبريل عليه السلام وجبريل عن رب العالمين جل جلاله وتقدست أسماؤه .

فأعظم بإسناد إلى الله ينتهي وهل بعد ذاك الفضل فضل لمن رغبْ
ومن كان ميتا فالقران حياته حياة الهدى ناداك ربك فاستجبْ

وللروايات الباقية أسانيد كثيرة ذكرها الإمام أبو عمرو الداني في كتابه التيسير في القراءات السبع .

واعلم أن هذا الكتاب وغيره لا يغني عن التلقي ، بل التلقي هو الأصل فاحرص على ملازمة العلماء والتلقي عنهم ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

باب التجويد

اعلم أن حكم التجويد قد اختلف فيه بين مُفْرِطٍ ومُفَرِّطٍ ، فأما المُفْرِطُونَ فقد أثموا تاركه وأبطلوا صلاته بل منهم من كفر جاحده ، وفسق تاركه .

قال أبو العز القلانسي :

يَا سَائِلاً تَجْوِيدَ ذَا الْقُرْآنِ فَخُذْ هُدِيتَ عَنْ أُولِي الإِتْقَانِ
تَجْوِيدُهُ فَرْضٌ كَمَا الصَّلاَتْ جَاءَتْ بِهِ الآثَارُ وَالآيَاتْ
وَجَاحِدُ التَّجْوِيدِ فَهْوَ كَافِرُ فَدَعْ هَوَاهُ إِنَّهُ لَخَاسِرُ
وَغَيْرُ جَاحِدِ الْوُجُوبِ حُكْمُهُ مُعَذَّبٌ وَبَعْدَ ذَاكَ إِنَّهُ

يُــؤْتَى بــهِ لِرَوْضَــةِ الْجَنَّــاتِ   كَغَيْــرِهِ مِــنْ سَــائِرِ الْعُصَــاةِ

ولا شك أن هذا مبالغة لا تنبغي ، ولا ينبغي كذلك التفريط في التجويد كما نسمع من كثير من أهل زماننا بأنه علم لا فائدة منه أو أنه بدعة من بدع القراء ونحو ذلك مما لا ينبغي ذكره ، وكذلك لا ينبغي الغلو والإفراط بتقديم التجويد على غيره من العلوم التي تعتبر أهم منه كعلم التوحيد والفقه الذي يساعد المسلم على عبادة ربه عبادة صحيحة.

ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه ، فالحق - والله أعلم - أن التجويد على قسمين : الأول هو التطبيق العملي لأحكامه ، والثاني هو العلم النظري بأحكامه ، وهذا فرض كفاية باتفاق العلماء ؛ لأنه يجب أن يكون في الأمة من يعلم هذه الأحكام ويعلمها .

وأما القسم الأول فالصحيح أنه فرض عين على كل من أراد أن يقرأ شيئا من القرءان أن يقرأه قراءة صحيحة ، ولا تصح القراءة إلا بالتجويد ؛ لأن التجويد هو قراءة القرآن قراءة حسنة كما نقل بالسند المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا أمر واجب وجوبا عينيا على كل مسلم أراد أن يقرأ القرآن لأن قراءة القرآن عبادة وكل عبادة لها ركنان : الأول : إخلاص النية لله تعالى .

والثاني : متابعة النبي صلى الله عليه وسلم .

والدليل قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فالعمل الصالح هو ما كان موافقا لهدي النبي صلى الله عليه وسلم خاليا من الشرك والرياء .

فالتجويد لم تؤخذ قواعده إلا مما نقل متواترا عن النبي صلى الله عليه وسلم في قراءته وإقرائه لأصحابه رضي الله عنهم ، تماما كما لم تؤخذ قواعد اللغة إلا مما نقل في أشعار العرب ، فمن قرأ القرآن تاركا ما نقل عن النبي صلى

الله عليه وسلم في قراءته من المد والترتيل فقد خالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم .

فلو أن إنسانا قرأ القرءان مجودا مرتلا كما أنزل ولكنه كان مرائيا في قراءته ألا يكون ءاثما بهذه القراءة المتقنة ؟ بلى يكون ءاثما لريائه ، فكذلك لو غير معاني القرءان بقراءته الخطأ حتى ولو كان مخلصا ، فلابد أن يكون مخلصا مصيبا .

فبالله لو قرأ قارئ من أول سورة التحريم مثلا فكتبنا خلفه ما قرأ كما قرأ فكان هكذا (بسم الله الرحمن الرحيم يَا أَيُّهَا النَّبِي لِمَا تُحَرِّمُو مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَك تَبْتَغِي مَرْدَاتَ أَزْوَاجِك وَاللَّهُ غَفُورٌ رحِيم قَدْ فَرَد اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّتا أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم وَإِذْ أَسرَّا النَّبِي إِلَى بَعْض أَزْوَاجِهِ حَدِيثن فَلَمَّا نَبَّأَدْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْدهُ وَأَعْرَد عَن بَعْد فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالا نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ سغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن طظاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِين وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ زهِيرٌ عَسَى رَبُّهُ إِن طلَّقَقُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَات مُّؤْمِنَات قَانِتَات تَائِبَات عَابِدَات سَائِحَات ثَيِّبَات وَأَبْقارًا) أليس هذا تحريفا للقرءان ؟ أنقول لهذا وأمثاله لا إثم عليكم فاستمروا في قراءتكم فيزدادون في خطئهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ (مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ).

,ولو جاز للناس أن يقرأوا القرآن هكذا لجازت كتابته هكذا ، وهذا لا يقول به أحد ، فكما أجمعوا على وجوب كتابته كما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلزم أيضا وجوب قراءته كما قرئ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واعلم أن نزول القرآن على سبعة أحرف إنما هو تيسير على الأمة لتقرأ كلام ربها قراءة حسنة صحيحة ، وأن جمع الصديق للقرآن ونسخ عثمان ـ رضي الله عنه ـ للمصاحف وتوجيهها إلى الأمصار إنما هو لتعليم الأمة القراءة الصحيحة ،

وما قام به الأئمة الأعلام من النقط والشكل إنما هو صيانة للأمة من الخطأ في كتاب ربها ، وما ألفوه ودونوه في التجويد والقراءات .

اعلم أن كل ذلك هدفه أن تقرأ الأمة كلام ربها قراءة حسنة صحيحة فلولا أن ذلك واجب وجوبا عينيا على كل قارئ لما كان كل هذا .

واعلم أن القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول وأن القرآن لا يؤخذ إلا بالتلقي ، فلولا أن القراءة الصحيحة بالتجويد واجبة لما تعين التلقي .

واعلم أن القراءة بالشواذ محرمة مع أنها قراءات مسندة فقدت شرطا من شروط القبول ، فكيف بمن يقرأ القرآن تاركا ما نقله الأئمة في القراءات المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا هو قرأ بقراءة صحيحة ولا هو قرأ بقراءة شاذة وإنما قراءة هوى متبع .

واعلم أن مقصودنا بالوجوب العيني هو الأداء العملي لأحكام القراءة والقدر الواجب منها هو ما يصح به المعنى ويستقيم به المبنى وما فوق ذلك فهو مستحب وليس بواجب .

وأما العلم النظري فهو فرض على الكفاية لا خلاف في ذلك .

وقولنا هذا إجماع من القراء واتفاق من أئمة الأداء وكثير منهم من المحدثين والفقهاء ، ولم ينقل ما يخالف إجماعهم عن أحد من العلماء .

وليس في قولنا هذا حرج ولا مشقة لأن الواجب على كل مسلم من القرآن إنما هو فاتحة الكتاب لكونها ركنا من أركان الصلاة ، وتصحيح قراءة الفاتحة أمر لا مشقة فيه ولله الحمد أما غير الفاتحة فالمسلم مخير فيه فمن قرأ فعليه أن يقرأ قراءة صحيحة وإلا فله أن يستمعه ممن يقرأه قراءة صحيحة ، والاستماع كالقراءة .

واعلم أن الأمة في قراءة القرآن ثلاثة أقسام : محسن مأجور ، ومخطئ آثم أو معذور .

فأما المحسن المأجور فهو الماهر المتقن الذي يقرؤه قراءة صحيحة كما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة) فإن علمه لغيره مخلصا وعاملا فقد حاز خير الدنيا والآخرة وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ويلحقه في الأجر المتعلم الذي يتعب في تصحيح قراءته ويتتعتع في تلقي تلاوته وفيه يقول صلى الله عليه وسلم (والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) ، وكل ما ورد في فضل القرآن وأهله فالمقصود به هذا القسم من الأمة .

وأما المخطئ المعذور فهو الذي يخطئ في قراءته رغما عنه إما لعدم وجود من يصحح له قراءته أو لعجزه عن تصحيحها لعذر من كبر سن أو عجمة لسان ، فهذا معذور وخطؤه مغفور لقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وقد يبلغ من الأجر بحسن نيته مالا يبلغه الماهر بحسن قراءته .

وأما المخطئ الآثم فهو الذي يقرأ على وفق هواه تكبرا ويترك تصحيح القراءة تهاونا دون أن يكون له عذر ، فهذا بلا شك واقع في الوزر .

فهذا خلاصة كلام الأئمة في هذا الباب ، ولا بأس من ذكر بعض أقوالهم وتقديم الأدلة على أحكامهم ، فمن الأدلة على وجوب القراءة الصحيحة بالتجويد قوله تعالى :

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فقد أنزل الله القرآن مصححا مجودا ، وهو سبحانه حافظ له مصححا مجودا فمحال أن يبيح قراءته بلا تصحيح ولا تجويد ، فمن حفظه سبحانه له أوجب تصحيح قراءته على من يقرؤه .

ومنها قوله تعالى : (ورتلناه ترتيلا) فأخبر أنه أنزله مرتلا فوجب أن يقرأ مرتلا كما أنزل ، ومنها قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) فأمر سبحانه بترتيل القراءة وأكد الأمر بالمصدر دلالة على وجوبه وعلى تحريم اللحن فيه .

والترتيل كما ورد عن علي ـ رضي الله عنه ـ هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف .

ومنها قوله تعالى في وصف القرآن (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا) وقوله تعالى (قرءانا عربيا غير ذي عوج) .
فنفى سبحانه العوج عن كتابه فيجب على قارئه اجتناب العوج في قراءته ، وقراءته بلا تجويد من العوج فليعلم .

ومنها قوله تعالى (وقرءانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) فأخبر عن صفة قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن بتؤدة وتمهل على الناس ليتلقوه عنه ، فمن قرأه على غير الصفة المتلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد خرج عما أباحه الله عز وجل .

ومنها قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) فكان صلى الله عليه وسلم يعجل بتحريك لسانه بالقرآن ليحفظه من جبريل حرصا منه صلى الله عليه وسلم فأخبره سبحانه أنه سيجمعه له في صدره وأمره باتباع قراءته فامتثل صلى الله عليه وسلم أمر ربه واتبع قراءة جبريل فمن اتبع قراءة نبيه صلى الله عليه وسلم فقد امتثل أمر ربه ومن خالف ذلك فقد عصى ربه إذ لم يتبع قراءته كما أمر .

ومنها قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) ، فأخبر سبحانه أن أهل القرآن المؤمنون به يتبعونه حق اتباعه ومن حق اتباعه قراءته حق القراءة كما أنزل ، فمن لم يجود قراءته ويصحح تلاوته فقد خالف سبيل المؤمنين في تجويدهم لكلام رب العالمين (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا) فالقرآن تواتر إلينا جيلا عن جيل حتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مجودا مصححا ، وهذا هو سبيل المؤمنين التي يجب اتباعها ويحرم الخروج عنها .

ومنها قوله تعالى (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) فأخبر سبحانه أن القرآن الكريم بلغه

جبريل عليه السلام إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلسان عربي مبين ردا على المشركين الذين يميلون عن الحق في قولهم أن القرآن متلق عن غلام بني الحضرمي وهو أعجمي اللسان ، فمن مال بقرائته عن اللسان العربي المبين وعما تواتر عن النبي الأمين فقد ألحد في قراءته ومال بالقرآن عن فصاحته .

ومنها قوله تعالى (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا) .

قال القرطبي : قال مجاهد : (يلحدون في آياتنا) أي عند تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية واللغو والغناء .

وقال ابن عباس : هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه . القرطبي ٢٣٩/١٥.

فمن ترك التجويد وهو قادر على تعلمه وتحصيله فقد ألحد في قراءته أي مال بعربية القرآن إلى أعجمية ما أنزل الله بها من سلطان .

ومنها قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) وغيرها من الآيات التي توجب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن اتباعه صلى الله عليه وسلم : قراءة القرآن كما نقل متواترا عنه صلى الله عليه وسلم ـ بالترتيل والتجويد ، فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها ، وكان يعرض القرآن على جبريل في رمضان من كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه مرتين ليكون عرض القرآن سنة ، وكان يقرئ أصحابه ويأمرهم بأخذ القراءة عن المتقنين منهم بمثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (خذوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب) وكان يسمعه من أصحابه كما قال لابن مسعود : اقرأ علي القرآن فقال : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري .

بل كان يقرأ عليهم لتعليمهم كما قرأ البينة على أبي بن كعب ، وكان يرتله في صلواته وخطبه لتعلم الأمة أن القرآن لا يؤخذ إلا بالتلقي ، ولا يجوز أن يقرأ إلا قراءة صحيحة مجودة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه يقرءون.

فهذه عشر آيات تدل على وجوب تجويد القرآن تصريحا أو تلميحا ، ووجوب الاجتهاد في القراءة تحسينا وتصحيحا .

وأما الأحاديث فمنها ما رواه الشيخان عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال صليت خلف هشام بن حكيم فقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فكدت أساوره في الصلاة لكني تصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت : من أقرأك هذه القراءة ؟

قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : كذبت ، فانطلقت به أقوده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها . فقال : أرسله . اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعتها منه فقال صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت .

ثم قال : اقرأ يا عمر . فقرأت عليه قراءتي فقال : كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا منه ما استطعتم .

وهذا الحديث يدل على وجوب التجويد من عدة وجوه :

الأول : إنكار عمر بن الخطاب قراءة هشام بن حكيم لمخالفتها لما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ ولم يسكت عنه حتى سمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قراءة هشام وأقره ، فكيف بمن يقرأ قراءة غير صحيحة تكاسلا عن تصحيحها وإعراضا عن تعلم ما يصححها وهو التجويد .

الثاني : بين صلى الله عليه وسلم ـ الحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف وهي التيسير على المسلمين ليتمكنوا من قراءة كلام ربهم قراءة صحيحة على ما يستطيعون من لهجاتهم ، فمن أعرض عن تصحيح قراءته مع هذا التيسير فلا عذر ينجيه من الوزر .

الثالث : عدم إنكار الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لما فعله عمر من شدته على هشام وإنكاره عليه ولو لم يكن هشام قد تلقى قراءته عن الرسول صلى الله عليه وسلم ـ لما تركه عمر ، فكيف لا ينكر على من يقرأ القرآن قراءة غير صحيحة فيغير

معانيه ويكسر مبانيه مع عدم وجود عذر له ومع وجود التسجيلات المتنوعة والتي لا تحصى كثرة للقرآن الكريم ، فمن لم يستطع القراءة الصحيحة ففي الاستماع إليها مثل ما في القراءة من أجر ، والله المستعان .

ومنها ما رواه الطبراني وسعيد بن منصور عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا قرأ عليه قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) مرسلة بلا مد . فقال عبد الله : ما هكذا أقرأنيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال الرجل : كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) فمدها .

قال ابن الجزري : هذا الحديث جليل حجة ونص في هذا الباب .ا هـ

ورجال إسناده ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، وقد صححه الألباني كما نقل صاحب بغية الكمال في شرح تحفة الأطفال ص٥٦.

فقد أنكر عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ على الرجل قصر (الفقراء) وألزمه بمده وأخبره أنه تلقاها من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ممدودة مع أن القصر لا يغير المعنى ، فكيف بما يغير المعنى مما يقع فيه أهل زماننا لإعراضهم عن هذا العلم الجليل .

فدل ذلك على وجوب قراءة القرآن كما تواتر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مد وقصر وغير ذلك من أحكام القراءة .

ومنها ما رواه ابن الجزري بسنده عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربي والله يحب أن يعرب به .   (النشر١/٢١٠) .

ومن الأدلة كذلك على وجوب التجويد أنه ميزان للحرف القرآني فقد قال الخاقاني ـ رحمه الله ـ :

زن الحرف لا تخرجه عن حد وزنه   فوزن حروف الذكر من أفضل البر

وقال الإمام السخاوي ـ رحمه الله ـ :

للحرف ميزان فلا تك طا غيا فيه ولا تك مخسر الميزان .

فإذا ثبت أن التجويد ميزان للحرف والله عز وجل أوجب إقامة الوزن بالقسط فقال تعالى : (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) فكيف يجوز ترك التجويد وهذا شأنه .

وأنا ناقل لك الآن من كلام السادة الأئمة وقراء الأمة ما يرجح ما ذكرناه ويؤيد ما ذهبنا إليه وأيدناه من وجوب العمل بالتجويد ، والأخذ به في ترتيل القرآن المجيد .

قال ابن الجزري ـ رحمه الله ـ :

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا وهكذا منه إلينا وصلا

قال شارحه ـ رحمه الله ـ : أي ووصل القرآن من الإله إلينا على لسان جبريل عليه السلام ببيان متواتر من اللوح المحفوظ وبيان النبي صلى الله عليه وسلم ـ وتعلم التابعين ثم أتباعهم منهم وهلم جرا إلى مشايخنا ـ رحمهم الله ـ متواترا هكذا بوصف الترتيل المشتمل على التجويد والتحسين وتبيين مخارج الحروف وصفاتها وسائر متعلقاتها التي هي معتبرة في لغة العرب الذي نزل القرآن العظيم بلسانهم لقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) فينبغي أن يراعى جميع قواعدهم وجوبا فيما يتغير به المبنى ويفسد به المعنى ، واستحبابا فيما يحسن به اللفظ ويستحسن به النطق حال الأداء ، وإنما قلنا بالاستحباب في هذا النوع لأن اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا مهرة القراء من تكرير الراءات وتطنين النونات وتغليظ اللامات في غير محلها وترقيق الراءات في غير موضعها لا يتصور أن يكون فرض عين يترتب العقاب على فاعلها لما فيه من حرج عظيم ، وقد قال تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) و (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وهو الحق الذي يعض عليه بالنواجذ ولا يعدل عنه إلا غيره .

(المنح الفكرية لملا علي القارئ ص٢٠) .

قلت : وهذا هو الحق في هذه المسألة كما قدمنا أدلته فالحكم بين الغالي والجافي وبين المفرط والمفرط ، والحمد لله الذي هدانا لما اختلف فيه من الحق بإذنه .

وقال ابن الجزري ـ رحمه الله ـ : ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده ، متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبويه الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها . (النشر١/٢١٠) .

وقال الشيخ الإمام أبو عبد الله نصر بن علي الشيرازي : فإن حسن الأداء فرض في القراءة ويجب على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلا .

على أن العلماء قد اختلفوا في وجوب حسن الأداء في القرآن فبعضهم ذهب إلى أن ذلك مقصور على ما يلزم المكلف قراءته في المفترضات فإن تجويد اللفظ وتقويم الحروف وحسن الأداء واجب فيه فحسب ، وذهب الآخرون إلى أن ذلك واجب على كل من قرأ شيئا من القرآن كيفما كان لأنه لا رخصة في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه واتخاذ اللحن سبيلا إليه إلا عند الضرورة قال الله تعالى (قرآنا عربيا غير ذي عوج) اهـ .

قال ابن الجزري : وهذا الخلاف الذي ذكره غريب والمذهب الثاني هو الصحيح بل الصواب على ما قدمنا ، وكذا ذكره الإمام الحجة أبو الفضل الرازي في تجويده وصوب ما صوبناه . والله أعلم . (النشر١/٢١١/٢١٢) .

وقال الشيخ محمد مكي نصر ـ رحمه الله ـ : اعلم أن الواجب في علم التجويد ينقسم إلى واجب شرعي وهو ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه أو صناعي وهو ما يحسن فعله ويقبح تركه ويعزر على تركه التعزير اللائق به عند أهل تلك الصناعة .

فالشرعي ما يحفظ الحروف من تغيير المبنى وإفساد المعنى فيأثم تاركه والصناعي فيما ذكره العلماء في كتب التجويد كالإدغام والإخفاء والإقلاب والترقيق والتفخيم فلا يأثم تاركه على اختيار المتأخرين .

وأما المتقدمون فاختاروا وجوب الجميع شرعا ، وهذا هو الموافق لما قاله العلامة ناصر الدين الطبلاوي حيث سئل : هل يجب إدغام النون الساكنة والتنوين عند حروف الإدغام وإظهارهما عند حروف الإظهار وإخفاؤهما عند حروف الإخفاء وقلبهما عند حرف الإقلاب أم لا ؟

وإذا كان واجبا فهل يجب على مؤدب الأطفال تعليمهم ذلك وهل المد اللازم والمتصل كذلك ؟ وإذا قلتم بالواجب في جميع ذلك فهل هو شرعي يثاب فاعله ويأثم تاركه ويكون تركه لحنا أو صناعي فلا ثواب لفاعله ولا إثم على تاركه ولا يكون تركه لحنا ؟

وماذا يترتب على تارك ذلك ؟ وإذا أنكر شخص وجوبه فهل هو مصيب أو مخطئ ؟ وماذا يترتب عليه في إنكار ذلك ؟ أفتونا أثابكم الله .

فأجاب بقوله : الحمد لله الهادي للصواب نقول بالجواب في جميع ذلك من أحكام النون والتنوين والمد اللازم والمتصل ، ولم يرد عن أحد من الأئمة أنه خالف فيه وإنما تفاوتت مراتبهم في المد المتصل مع اتفاقهم على أنه لا يجوز قصره كقصر المنفصل في وجه من الوجوه .

وقد أجمعت الفقهاء والأصوليون على أنه لا يجوز القراءة بالشاذ مع وروده في الجملة فما بالك بقراءة ما لم يرد أصلا .

وقد نصت الفقهاء على أنه إذا ترك شدة من الفاتحة كشدة الدين بأن جزم اللام وأتى بها ظاهرة فلا تصح صلاته ويلزم من عدم الصحة التحريم لأن كل ما أبطل الصلاة حرم تعاطيه ولا عكس .

وقد قال ابن الجزري في التمهيد : ما قرئ به وكان متواترا فجائز وإن اختلف لفظه وما كان شاذا فحرام تعاطيه وما خالف ذلك فكذلك ، ويكفر متعمده .

فإذا تقرر ذلك فترك ما ذكر ممتنع بالشرع وليس للقياس فيه مدخل بل محض أتباع .

وقد قال العلامة ابن الجزري :

والأخــذ بالتجويــد حــتم لازم مــن لم يجــود القــرآن آثــم .

فيجب على كل عاقل له ديانة أن يتلقاها بالقبول عن الأئمة المعتبرين وغيرها مما اجتمعت القراء على تلقيه بالقبول لأن كل ما اجتمعت عليه القراء حرمت مخالفته ومن أنكر ذلك أي مما تقدم كله فهو مخطئ آثم يجب عليه الرجوع عن هذا الاعتقاد ـ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ا . هـ (نهاية القول المفيد ص٥٤) .

وقال ابن غازي في شرحه على الجزرية : ولم ينفرد ابن الجزري بذكر فرضية التجويد فقد ذكر عن أبي عبد الله نصر بن الشيرازي مصنف الموضح وعن الفخر الرازي وعن جماعة من شيوخه أيضا ، ووافقه على ذلك الحافظ جلال الدين السيوطي في الإتقان والحافظ أحمد القسطلاني الخطيب في لطائف الإشارات وذكره النويري في شرحه على الطيبة وذكره قبله مكي بن أبي طالب وأبو عمرو الداني وغيرهم . (نهاية القول المفيد ص١٠) .

وقد أفتى ابن الجزري ـ بأن من استأجر شخصا ليقرئه القرآن أو ليقرأ له ختمة فأقرأه القرآن أو قرأ له الختمة بغير تجويد لا يستحق الأجرة ، ومن حلف أن القرآن بغير تجويد ليس قرآنا لم يحنث . (نهاية القول المفيد ص١١) .

وقال الشيخ برهان الدين القلقيلي : ـ وأما إجماع الأمة فقد اجتمعت الأمة المعصومة من الخطأ على وجوب التجويد من زمن النبي صلى الله عليه وسلم ـ إلى زماننا ولم يختلف فيه عن أحد منهم ، وهذا من أقوى الحجج . (نهاية القول المفيد ص٩) .

وقال الشيخ عامر ـ رحمه الله ـ : يجب أن يتلو المؤمن القرآن الكريم حق تلاوته كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسئل الشيخ الحسيني ـ رحمه الله : ما حكم قراءة القرآن بدون تجويد وما حكم الاكتفاء بأخذه من المصاحف بدون معلم ؟

فأجاب : اعلم أن التجويد واجب وجوبا شرعيا يثاب القارئ على فعله ويعاقب على تركه فرض عين على كل من يريد قراءة القرآن لأنه نزل على نبينا مجودا ، ووصل إلينا كذلك بالتواتر ، وأخذ القرآن من المصحف بدون تلق من أفواه المشايخ المتقنين لا يجوز .

وقال الشيخ عثمان مراد :

تجويدك القرآن حتم واجب — إن لم تجوده فأنت مذنب

لأن ربي كلف الإنسانا — به فقال رتل القرآن

(ملخصا من بغية الكمال ص٥٩ص٦٣) .

وقال العلامة محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ : الحمد لله ، لقد امتن الله على عباده بتعليم البيان ،وأنزل كتابه بلسان عربي مبين ، فيتعين على من قرأه أن يقيم حروفه ما استطاع ، مراعياً بذلك قواعد التجويد التي قررها العلماء رحمهم الله . ولا يجوز أن يبدل حرفاً بحرف أو يدغم حرفاً بحرف غير ما ورد إدغامه أما هؤلاء الأعاجم الذين ذكرتم فإن كانوا لا يستطيعون النطق ببعض الحروف لأن ألسنتهم لا تساعدهم على النطق بها لعجمتهم فهم معذورون لقوله تعالى :(لا يُكلف الله نفساً إلا وسعها . من فتاويه رحمه الله .

وفي فتاوى الشيخ الفوزان : سمعت أن من يقرأ القرآن وهو لا يجيد قراءته أنه يأثم بذلك فهل هذا صحيح؟ وهل معنى هذا أن عدم قراءته له أفضل من قراءته مكسرًا؟

هذا له حالتان : الحالة الأولى : أن يكون قادرًا على إصلاح أخطائه في القراءة بأن يكون عنده من يتمكن من تعديل القراءة عليه ويعلمه القراءة الصحيحة فهذا لا يجوز له أن يبقى على القراءة المكسرة بل يجب عليه أن يعدل قراءته وأن يصححها، لأنه متمكن من ذلك.

والحالة الثانية: يكون لا يقدر على تعديل القراءة فهذا يقرأ حسب استطاعته ومقدرته ولا يترك قراءة القرآن، لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) [رواه الإمام مسلم في "صحيحه" (٥٤٩/١) من حديث عائشة رضي الله عنها] فهذا له أجر القراءة وأجر المشقة. أ . هـ .

ولعل في هذا مقنع لمن طلب الحق ورضي به .

معنى التجويد

اعلم أن التجويد في اللغة معناه التحسين وأنت تقول : شيء جيد أي شيء حسن .

و معناه وغايته : قراءة القرآن قراءة حسنة كما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنهم أجمعوا على أنه لا يؤخذ القرآن عن مصحفي وهو الذي أخذ عن المصحف ولم يعرض على المشايخ المسندين ، والقراءة تؤخذ بالتلقي المسنَد شيخًا عن شيخ إلى سيد الشيوخ وإمام المقرئين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وأجمعوا على أن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول ، وليست بالقياس والاجتهاد .

قال الشاطبي ـ رحمه الله ـ :

وَمَا لِقِيَاسٍ فِيْ الْقِرَاءَةِ مَدْخَلٌ   فَدُونَكَ مَا فِيهِ الرِّضَا مُتَنَخَّلاَ

واعلم أن : التجويد قائم على أركان أربعة :

أولها وهو أهمها : مخارج الحروف .

والثاني : صفات الحروف اللازمة لها كالجهر والشدة ويسمى حق الحروف .

والثالث : الصفات العارضة التي تنشأ من اجتماع الحروف مع حركاتها أو مع حروف أخرى كالترقيق الناتج عن كسر الراء في نحو (من رزق) والمد الناتج عن اجتماع الألف مع الهمزة في نحو (السماء) وهكذا ، ويسمى هذا مستحق الحروف .

الرابع : ترويض اللسان وتدريبه على كل ما سبق ليصل إلى الإتقان والبيان بلا تكلف .

ولذلك يقولون في تعريف التجويد : هو إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه من الصفات اللازمة والعارضة .

قال ابن الجزري ـ رحمه الله ـ :

وَهْوَ إِعْطَاءُ الْحُرُوفِ حَقَّهَا ... مِنْ صِفَةٍ لَهَا وَمُسْتَحَقَّهَا
وَرَدُّ كُلِّ وَاحِدٍ لأَصْلِهِ ... وَاللَّفْظُ فِي نَظِيرِهِ كَمِثْلِهِ
مُكَمَّلاً مِنْ غَيْرِ مَا تَكَلُّفِ ... بِاللُّطْفِ فِي النُّطْقِ بِلا تَعَسُّفِ
وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَرْكِهِ ... إلاَّ رِيَاضَةُ امْرِئٍ بِفَكِّهِ

واحذر كل الحذر من التكلف في الأداء فإنه آفة كثير من القراء فإني سمعت البعض يقرأ القرآن بتكلف شديد وتنطع بعيد ، ظنا منه أن ذلك هو التجويد ، وما درى أن فعله ليس بسديد .

فرأيت من واجبي أن أنصح لهم ، معذرة إلى الله ولعلهم فجمعت من كلام السادة الأئمة ومقرئي الأمة ما يبين كراهة التكلف وسوء التعسف لكل عاقل ومنصف .

ورحم الله القائل :

حدود حروف الذكر في لفظ قارئ ... بحدر وتحقيق ودور مرتلا
فإني سمعت البعض يتلو القران لا ... يقيم حدود الحرف وزنا ومنزلا
فمنهم بترعيد ولحن وضجة ... ومنهم بترقيص ونوح تبدلا
فذر نطق إعجام وما اخترعوا به ... وخذ لفظ عرب بالفصاحة سولا
فما كل من يتلو القران يقيمه ... ولا كل من يقرا فيقرا مجملا
فيا قارئ القرآن أجمل أداءه ... يضاعف لك الرحمن أجرا فأجزلا

معنى التكلف

التكلف والتعسف والإفراط والتنطع كلها بمعنى واحد وهو أن يشق المرء على نفسه في القول والفعل بالمبالغة وتجاوز الحد ، وهو عكس التفريط والتقصير ، وكلاهما مكروه مذموم والسنة وسط بينهما.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: باب النهي عن التكلف وهو فعل وقول مالا مصلحة فيه بمشقة . (رياض الصالحين ص٥٧٠) .

وقال الرازي : تكلفه أي تجشمه ..... وتجشمه أي تكلفه على مشقة . (مختار الصحاح مادة كلف وجشم) .

وقال الفيروز آبادي : عسفه تعسيفا أتعبه . (القاموس المحيط فصل العين باب الفاء) .

ففي التكلف حرج ومشقة ، والله عز وجل ما أنزل القرآن إلا توسعة على عباده ورفعا للحرج والمشقة عنهم ، وما شرعت القراءات إلا تيسيرا على المسلمين.

قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)(البقرة)

وقال عز وجل (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) (سورة المائدة)

فالتكلف مكروه قبيح ولا يلجأ إليه إلا لضرورة في بعض الحروف عند من لا يميزها من غيرها كمن ينطق الضاد ظاء كما قال مكي : والضاد أصعب الحروف تكلفا في المخرج وأشدها صعوبة على اللافظ فمتى لم يتكلف القارئ إخراجها على حقها أتى بغير لفظها وأخل بقراءته ومن تكلف ذلك وتمادى عليه صار له التجويد بلفظها عادة وطبعا وسجية .

(الرعاية ص١٨٥).

ولهذا التكلف حد ينتهي إليه كما قال أما أن يستمر عليه فهذا مكروه مستقبح ، قال الداني : وأما استعماله على غير ذلك فلا سبيل إليه البتة للمتقدم من الأخبار من الأئمة بكراهته والعدول عنه . (التحديد ص٩١) .

الأدلة على كراهة التكلف

قال الله تعالى (قل ما أسألكم عليه أجرا وما أنا من المتكلفين) (ص٨٦)
قال القرطبي ـ رحمه الله ـ : أي لا أتكلف و أتخرص ما لم أو مر به .(١٥/ ١٥٠)
فلولا أن التكلف مكروه مذموم لما نفاه الله عز وجل عن نبيه المعصوم فإذ نفاه الله عز وجل عنه كان ذلك دليلا صريحا على كراهة التكلف .
وما دام نبينا صلى الله عليه وسلم ليس من المتكلفين فعلينا أن لا نكون من المتكلفين اقتداء به صلى الله عليه وسلم واتباعا لهديه وسمته ، فالمتكلف عن هدى نبيه صلى الله عليه وسلم متخلف .

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن التكلف كما في حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : نهينا عن التكلف . رواه البخاري . (رياض الصالحين ص٥٧٠)
والتكلف في القراءة هو نوع من أنواع التكلف الذي تبرأ منه النبي صلى الله عليه وسلم بأمر من الله عز وجل ، ونهى عنه أمته .

ولذلك قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : باب كراهة التقعير في الكلام والتشدق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم .

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هلك المتنطعون . قالها ثلاثا . رواه مسلم .

المتنطعون : المبالغون في الأمور . (رياض الصالحين ص٥٩٠)

وقال في شرح مسلم : أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم . ج ١٦ص٢٢٠

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إن الله ليبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة . رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن .

(رياض الصالحين ص٥٩٠) .

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون .

قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟

قال : المتكبرون . رواه الترمذي وقال : حديث حسن وصححه الألباني .

قال النووي : الثرثار : هو كثير الكلام تكلفا .

والمتشدق : المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه .

والمتفيهق : أصله من الفهق وهو الامتلاء وهو الذي يملأ فمه بكلامه ويتوسع فيه ويغرب تكبرا وارتفاعا وإظهارا للفضيلة على غيره . (رياض الصالحين ص٢٧٨) .

ولما كان التكلف في القراءة بهذه المنزلة من الكراهة والذم فقد حذر منه أئمة القراء في النشر والنظم ، فقال الإمام ابن الجزري رحمه الله في تعريفه للتجويد :

وهو إعطاء الحروف حقها ... من صفة لها ومستحقها
مكملا من غير ما تكلف ... باللطف في النطق بلا تعسف

قال الأزهري في شرحه : وحاصل كلامه : أن التجويد هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها في مراتبها ورد الحروف إلى مخارجها وأصلها وإلحاقها بنظائرها وإتباع لفظها وتلطيف النطق بها على حالة صفتها وهيئتها من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف . (الحواشي الأزهرية ص١٨) .

وقال الشيخ إبراهيم السمنودي : .

وحده إعطاء كل حرف ... حقوقه من مخرج ووصف
وأن يسوى بين كل حرف ... ومثله في لفظه باللطف

(تلخيص لآلئ البيان ص٢) .

وقوله : في لفظه باللطف : احترازا من التكلف في النطق .

وقال الإمام أبو عمرو الداني :

وجــــود الحـــــروف لا تتركهــــا عاريــة مــن ذاك بــل فككهــا
مــن غــير إفــراط ولا إســراف بــل ذاك مكــروه بــلا خــلاف

(المنبهه ص٢٠١) .

فبين رحمه الله ـ في هذين البيتين كراهة التكلف والإفراط في التجويد عند جميع الأئمة بلا خلاف بينهم فليتأمل ذلك كل منصف .

وقال رحمه الله ـ في الهمز :

والهمـــز فيـــه كلفـــة وتعـــب لأنــه حــرف شــديد صــعب
يخرجـــه النـــاطق باجتهـــاد مــن صــدره وقــوة اعتمــاد
يعيبـــه الكلفـــة والتنطـــع إذ هـــو كالســـعلة والتهـــوع

(المنبهه ص٢٣٥) .

وقال بعده :

لم يكـــره الأكـــابر الأئمـــة والســالفون مــن خيــار الأمــة
في الهمــز غــير شــدة التكلــف إذ ذاك فيــه محــدث لا يعــرف

(المنبهه ص٢٣٦) .

فبين رحمه الله ـ أن التكلف في نطق الهمزة وإخراجه من مخرجه بتنطع أمر معيب محدث لا يعرف عند خيار الأمة مع صعوبة الهمز وحاجته إلى الاجتهاد في نطقه فكيف بالتكلف في باقي الحروف وهي أسهل من الهمز بلا ريب .

وقال مكي ـ رحمه الله ـ : فيجب على القارئ أن يعرف جميع ذلك من أحوالها وطباعها فيتوسط اللفظ بها ولا يتعسف في شدة إخراجها إذا نطق بها لكن يخرجها بلطافة ورفق لأنها حرف بعد مخرجه فصعب اللفظ به لصعوبته ولذلك لم تستعمل العرب همزتين محققتين من أصل كلمة ، ولا توجد همزة مدغمة في همزة إلا في قليل من الكلام فإذا أخرجها القارئ من لفظه برفق ولطف ولم يتعسف باللفظ بها فقد وصل إلى اللفظ المستحسن المختار فيها ، فقد

حكي عن حماد بن زيد أنه قال : رأيت رجلا يستعدي على رجل بالمدينة فقلت له : ما تريد منه ؟ فقال : إنه يتهدد القرآن .

قال : فإذا المطلوب رجل إذا قرأ بهمز يعني إنه كان يهمز همزا متعسفا .

فيجب على القارئ أن لا يتكلف في الهمزة ما يقبح من ظهور شدة النبر بنبرة الصوت وأن يلفظ بالهمز مع النفس لفظا سهلا فقد قال أبو بكر بن عياش ـ صاحب عاصم ـ : كان إمامنا يهمز (مؤصدة) فأشتهي أن أسد أذني إذا سمعته يهمزها ، يريد أنه كان يتعسف باللفظ في الهمز ويتكلف شدة النبر فيقبح لفظه بها . (الرعاية ص١٤٥، ١٤٦، ١٤٧) .

ومعنى قوله : إمامنا : أي إمام المسجد الذي كانوا يصلون فيه كما قال ذلك الداني في تحديده .

فهذا كلام إمام مرهف الحس والسمع ، استقبح التعسف والتكلف في الهمزة في وقته من إمام مسجده فكيف بنا وبقرائنا وطلابنا اليوم .

وقال الداني في المد :

ورؤساء هذه الصناعة	ينفون طول المد للبشاعة
والمستحب عندهم فيه الوسط	من لفظ لا البالغ الممطط
ومذهب القراء جار فيه	على طباعهم كذا يرويه

(المنبهه ص٢٣٣) .

فبين رحمه الله ـ أن المبالغة والتمطيط في المد أمر مكروه ، وهكذا جميع أحكام التجويد يكره المبالغة في تحريرها والتنطع في تحقيقها .

وقال الإمام أبو شامة : وقد يمكن إخراج الراء مما هو داخل من مخرج النون أو من مخرجها ولكن بتكلف لا على حسب إجراء الطبع السليم ، والكلام في المخارج إنما هو على حسب اشتقاق الطبع لا على حسب التكلف . (إبراز المعاني ص٧٤٦) .

وقال الإمام ابن الجزري ـ رحمه الله ـ :

فليس التجويد بتمضيغ اللسان ولا بتقعير الفم ولا بتعويج الفك ولا بترعيد الصوت ولا بتمطيط الشدق ، ولا بتقطيع المد ، ولا بتطنين الغنات[١] ولا بحصرمة الراءات[٢] ، قراءة تنفر عنها الطباع ، وتمجها القلوب والأسماع ، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة ، التي لا مضغ فيها ولا لوك ، ولا تعسف ولا تكلف ، ولا تصنع ، ولا تنطع ، ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء . (النشر١/٢١٣) .

وقال ابن قدامة : ونقل عن أحمد أنه كان يختار قراءة نافع من طريق إسماعيل بن جعفر ، فإن لم يكن فقراءة عاصم من طريق أبي بكر بن عياش، وأثنى على قراءة أبي عمرو ، ولم يكره قراءة أحد من العشرة إلا قراءة حمزة والكسائي لما فيها من الكسر والإدغام والتكلف وزيادة المد وقد [روي عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نزل القرآن بالتفخيم] وعن ابن عباس قال : (نزل القرآن بالتفخيم والتثقيل)نحو الجمعة وأشباه ذلك ؛ ولأنها تتضمن الإدغام الفاحش ، وفيه إذهاب حروف كثيرة من كتاب الله تعالى ينقص بإدغام كل حرف عشر حسنات ، ورويت كراهتها والتشديد فيها عن جماعة من السلف منهم الثوري و ابن مهدي و يزيد بن هارون و سفيان بن عيينة فروي عنه أنه قال : لو صليت خلف إنسان يقرأ قراءة حمزة لأعدت صلاتي ؛ وقال أبو بكر بن عياش : قراءة حمزة بدعة ؛ وقال ابن إدريس : ما أستجيز أن أقول من يقرأ بقراءة حمزة أنه صاحب سنة ؛ قال بشر بن الحارث : يعيد إذا صلى خلف إمام يقرأ بها ؛ وروي عن أحمد التسهيل في ذلك قال الأثرم : قلت لأبي عبد الله : إمام يصلي بقراءة حمزة أصلي خلفه ؟ قال لا تبلغ بهذا كله ولكنه لا يعجبني . (الشرح الكبير ١/٢٧٩) .

---

(١)المبالغة في إظهار صوتها .

(٢) المبالغة في إذهاب تكريرها .

هكذا فعل المتكلفون بقراءة الإمام حمزة حتى عابها الأئمة ، فهل يعتبرون ؟ أم هل عن تكلفهم يرجعون ؟ وإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال الإمام الذهبي – رحمه الله – : كَرِهَ طَائِفَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ قِرَاءةَ حَمْزَةَ لِمَا فِيْهَا مِنَ السَّكْتِ، وَفَرطِ المَدّ، وَاتِّبَاعِ الرَّسمِ، وَالإِضْجَاعِ ، وَأَشْيَاءَ ثُمَّ اسْتَقَرَّ اليَوْمَ الاتِّفَاقُ عَلَى قَبُولِهَا، وَبَعْضٌ كَانَ حَمْزَةُ لاَ يَرَاهُ.

بَلَغَنَا أَنَّ رَجُلاً قَالَ لَهُ: يَا أَبَا عُمَارَةَ رَأَيتُ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِكَ هَمَزَ حَتَّى انْقَطَعَ زِرُّهُ. فَقَالَ: لَمْ آمُرْهُم بِهَذَا كُلِّهِ.(سير أعلام النبلاء ٦ / ٥٣٠) .

ورحم الله الإمام الداني حيث عقد بابا في كتابه التحديد يبين فيه كراهية التكلف فقال : باب ذكر الإفصاح عن مذاهب الأئمة في حد التحقيق ونهاية التجويد وما جاء عنهم من الكراهة في التجاوز عن ذلك .

اعلموا أن التحقيق الوارد عن أئمة القراءة حده أن توفي الحروف حقوقها من المد إن كانت ممدودة ، و من التمكين إن كانت ممكنة ، ومن الهمز إن كانت مهموزة ومن التشديد إن كانت مشددة ، ومن الإدغام إن كانت مدغمة ، ومن الفتح إن كانت مفتوحة ، ومن الإمالة إن كانت ممالة ، ومن الحركة إن كانت متحركة ، ومن السكون إن كانت مسكنة من غير تجاوز ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف على ما نبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فأما ما يذهب إليه بعض أهل الغباوة من أهل الأداء من الإفراط في التمطيط والتعسف في التفكيك ، والإسراف في إشباع الحركات وتلخيص السواكن إلى غير ذلك من الألفاظ المستبشعة والمذاهب المكروهة فخارج عن مذاهب الأئمة وجمهور سلف الأمة .

وقد وردت الأثار عنهم بكراهة ذلك ، وبكيفية حقيقته ونحن نذكر ما رويناه من ذلك ليعمل على ما حددناه ووصفناه إن شاء الله تعالى .

ذكر ذلك : حدثنا محمد بن أحمد حدثنا ابن مجاهد حدثنا علي بن الحسن قال : سمعت محمد بن الهيثم يقول : حدثني عبد الرحمن بن أبي حماد قال : سمعت حمزة يقول : إن لهذا التحقيق منتهى ينتهي إليه ثم يكون قبيحا مثل البياض له منتهى ينتهي إليه فإذا زاد صار برصا ومثل الجعودة لها منتهى تنتهي إليه فإذا زادت صارت قططا .

أخبرنا عبد العزيز بن جعفر حدثنا عبد الواحد بن عمر حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا محمد بن يحي النيسابوري حدثنا عبيد الله بن موسى قال : قال لي حمزة : إني أكره ما تجيئون به . يعني من التشديد .

حدثنا عمر بن علي حدثنا أحمد بن موسى قال : حدثني علي بن الحسين قال محمد بن الهيثم : واحتج من عاب قراءة حمزة بعبد الله بن إدريس أنه طعن فيها ، وإنما كان سبب هذا أن رجلا ممن قرأ على سليم حضر مجلس عبد الله بن إدريس فقرأ فسمع ابن إدريس ألفاظا فيها إفراط في الهمز والمد وغير ذلك من التكلف المكروه ، فكره ذلك ابن إدريس وطعن فيه .

وقال محمد : وهذا الطريق عندنا مكروه مذموم وكان حمزة يكره ذلك وينهى عنه وكذلك من أتقن القراءة من أصحابه .

حدثنا أبو القاسم الفارسي حدثنا أبو طاهر بن أبي هاشم قال : حدثني عبد الله يعني ابن أبي داود عن أبيه عن شيخ له عن آخر قال : قال رجل لحمزة : يا أبا عمارة رأيت رجلا من أصحابك همز حتى انقطع زره[١] ؛ فقال : لم آمرهم بهذا كله[٢] .

حدثنا عبد العزيز بن جعفر حدثنا عبد الواحد بن عمر حدثنا ابن فرح حدثنا أبو عمر قال : سمعت سليما يقول : وقف الثوري على حمزة فقال : يا أبا عمارة ما هذا الهمز والمد والقطع الشديد ؟

---

(٣) الزر : عظيم تحت القلب وهو قوامه . القاموس المحيط٢/٣٨ .

(٤) هذا الإسناد ضعيف لأن فيه مبهومين ، ولا شك أن حمزة لا يقر هذا التكلف .

فقال : يا أبا عبد الله هذه رياضة للمتعلم .

قال أبو عمرو : ولهذا المعنى الذي ذكره حمزة ـ رحمه الله ـ يرخص في المبالغة في التحقيق من يرخص من الشيوخ المتقدمين والقراء السالفين لترتاض به ألسنة المبتدئين وتتحكم فيه طباع المتعلمين ثم يعرفون بعد حقيقته ويوقفون على المراد من كيفيته .

فأما استعماله على غير ذلك فلا سبيل إليه البتة للمتقدم من الأخبار عن الأئمة بكراهته والعدول عنه .

وقد حدثني الحسين بن علي بن شاكر البصري ثنا أحمد بن نصر المقرئ قال : فأما الإسراف في التحقيق الخارج عن التجويد فمعيب مذموم .

قال : سمعت ابن مجاهد وقد سئل عن وقف حمزة على الساكن قبل الهمزة وإفراطه في المد إلى غير ذلك ؟ قال : كان حمزة يأخذ بذلك على المتعلم ، ومراده أن يصل إلى ما نحن عليه من إعطاء الحروف حقوقها .

قال أبو عمرو : وقد جاء هذا عن حمزة منصوصا فحدثنا به عبد العزيز بن جعفر المقرئ أن عبد الواحد بن عمر حدثهم قال : حدثني أحمد بن عبيد الله حدثنا عبد الله بن شعيب قال : حدثني إسحق بن إبراهيم المقرئ عن خلف بن هشام قال : سألت سليم بن عيسى عن التحقيق فقال : سمعت حمزة يقول : إنا جعلنا هذا التحقيق ليستمر عليه المتعلم .

أخبرني محمد بن عبد الواحد البغدادي أن أحمد بن نصر حدثهم قال : حدثنا ابن شنبوذ قال : حدثنا محمد بن حيان حدثنا أبو حمدون حدثنا سليم قال : سمعت حمزة يقول : إنما أزيد على الغلام في المد ليأتي بالمعنى .

حدثنا فارس بن أحمد حدثنا عبد الله بن الحسين حدثنا أبو بكر الآدمي عن أبي أيوب الضبي عن رجاء بن عيسى عن إبراهيم بن زربي أنه قرأ على سليم أنه قرأ على حمزة بمد بين مدين وكسر بين كسرين .

حدثني الحسين بن علي بن شاكر حدثنا أحمد بن نصر حدثنا شيخنا يعني ابن مجاهد حدثنا محمد بن عيسى المقرئ حدثنا محمد بن يزيد بن رفاعة قال : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : إمامنا يهمز (مؤصدة) فأشتهي أن أسد أذني إذا سمعته يهمزها .

قال أبو عمرو : وقول أبي بكر إمامنا يعني إمام مسجدهم مسجد بني السيد بالكوفة كان يقرأ بحرف حمزة .

حدثنا خلف بن إبراهيم حدثنا محمد بن أشتة حدثنا إبراهيم بن جعفر عن يوسف بن جعفر عن إبراهيم بن الحسن حدثنا علي بن بشر حدثنا جعفر بن شكل قال : جاء رجل إلى نافع فقال : تأخذ علي الحدر ؟ فقال نافع : ما الحدر ؟ ما أعرفها ، أسمعنا .

قال : فقرأ الرجل فقال نافع : الحدر أو قال : حدرنا أن لا نسقط الإعراب ، ولا ننفي الحروف ولا نخفف مشددا ، ولا نشدد مخففا ، ولا نقصر ممدودا ، ولا نمد مقصورا ، قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - سهل جزل[1] ، لا نمضغ[2] ولا نلوك[3] ، ننبر[4] ولا نبتهر[5] نسهل ولا نشدد ، نقرأ على أفصح اللغات وأمضاها ، ولا نلتفت إلى أقاويل الشعراء وأصحاب اللغات ، أصاغر عن أكابر ملي عن وفي ، ديننا دين العجائز ، وقراءتنا قراءة المشايخ ، نسمع في القرآن ولا نستعمل فيه بالرأي ثم تلا نافع (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) إلى آخر الآية .

---

(٥) خلاف الركيك من الألفاظ . القاموس٣/٣٤٨ .

(٦) لاكه بسنه . القاموس ٣/١١٣.

(٧) اللوك : علك الشيء٣/٣١٩

(٨) نبر الحرف : همزة٢٠/١٣٧.

(٩) البهر : انقطاع النفس١/٣٧٨.

قال أبو عمرو : وهذا كلام من أيد ووفق ونصر وفهم وجعل إماما عالما ، وعلما يقتفى أثره ، ويتبع سننه وهذه الطريقة التي وصفها وبينها وأوضحها وعرف أن الصحابة رضوان الله عليهم ـ احتذوها هي التي يجب على قراء القرآن أن يمتثلوها في التحقيق ويسلكوها في التجويد ، وينبذوا ما سواها مما هو مخالف لها وخارج عنها ، وعلى ذلك وجدنا الأئمة من القراء والأكابر من أهل الأداء .

حدثنا أبو محمد سليمان بن أبي الوليد الإمام وغيره قالوا حدثنا محمد بن علي المقرئ قال : حدثني محمد بن سعيد عن أبي جعفر أحمد بن هلالا قال : حدثني محمد بن سلمان العثماني قال : قال أبي : قلت لورش : كيف كان يقرأ نافع ؟ قال : كان يقرأ لا مشددا ولا مرسلا بينا حسنا .

قال ابن هلال : والذي أقرأه وأقرئ به الوسط من اللفظ ما يصلح للمحاريب[١] ، وهو مذهب يعقوب عن ورش عن نافع .

حدثني الحسين بن علي حدثنا أحمد بن نصر بن منصور ووصف قراءة أئمة القراءة السبعة فقال : أما صفة قراءة من انتحل[٢] ابن كثير فحسنة مجهورة بتمكين بين

وأما وصف قراءة من ينتحل نافعا فسلسلة لها أدنى تمديد وأما صفة قراءة عاصم فمترسلة جريشة[٣] ذات ترتيل وكان عاصم نفسه موصوفا بحسن الصوت وتجويد القراءة

وأما صفة من ينتحل قراءة حمزة فأكثر من رأينا منهم لا ينبغي أن تحكى قراءته لفسادها ولأنها مصنوعة من تلقاء أنفسهم[١] وأما من كان منهم يعدل في قراءته

---

(١٠) يعني للصلاة في المحاريب ، والمقصود الترتيل لأنه أفضل المراتب ، أما المحاريب المحدثة فهي بدعة من البدع ، وقد خصها الإمام السيوطي برسالة قيمة أسماها (تحذير الأريب من بدعة المحاريب) .

(١١) انتحل الشيء : ادعاه لنفسه . (القاموس ٥٤/٤) والمقصود : قرأ بها .

(١٢) المقصود أنها وسط كالجريش .

حدرا وتحقيقا فصفتها المد العدل والقصر والهمز المقوم والتشديد المجود بلا تمطيط[٢] ولا تشديق[٣] ولا تعلية صوت ولا ترعيد[٤] فهذه صفة التحقيق وأما الحدر فسهل التكاف[٥] في أدنى ترتيل وأيسر تقطيع[٦].

وأما وصف قراءة الكسائي فبين الوصفين في اعتدال وأما أصحاب قراءة ابن عامر فيضطربون في التقويم ويخرجون عن الاعتدال .

وأما صفة من ينتحل قراءة أبي عمرو فالتوسط والتدوير همزها سليم من اللكز[٧] وتشديدها خارج عن التمضيغ بترسل جزل بين سهل يتلو بعضها بعضا قال : وإلى هذا كان يذهب ابن مجاهد في هذه القراءة وغيرها وبه قرأنا عليه وبمثله كان يأخذ ابن المنادى رحمة الله عليهما . انتهى من التحديد .

وعن الفضل بن زياد قال سمعت أبا عبد الله يسئل عن القرءاة فقال يحسنه بصوته من غير تكلف وقال أبو بكر الأثرم سألت أبا عبد الله عن القراءة بالألحان فقال كل شيء محدث فإنه لا يعجبني إلا أن يكون صوت الرجل لا يتكلفه . مجموع الفتاوى .

وقال الإمام السخاوي ـ رحمه الله ـ :

لا تحسب التجويد مدا مفرطا   أو مد مالا فيه لوان

=

---

(١٣) يقصد القراء ة المتكلفة من أنفسهم ، ولم يتلقوا هذا التكلف عن حمزة بل كان رحمه الله ينهى عنه .

(١٤) **التمطيط** : التواني والتلون في الكلام . (القاموس ٢/٣٨٦) .

(١٥) **التشديق** : لوي الشدق تفصحا . (القاموس ٣/٢٤٨) .

(١٦) **الترعيد** : رفع الصوت وخفضه مع المد .

(١٧) يقصد سهولة العمل والنطق ، ولا يقصد التعسف ، بدليل أن هذه العبارة وردت في التمهيد بلفظ : فسهل كاف .

(١٨) **التقطيع** : التبيين .

(١٩) **اللكز** : الضرب في الصدر والعنق . (القاموس ٢/١٩١) .

أو أن تشــــدد بعـــد مـــد همـــزة أو أن تلــوك الحــرف كالسـكران
أو أن تفــــوه بهمــــزة متهوعــــا فيفــر ســامعها مــن الغثيــان
للحــرف ميــزان فــلا تــك طاغيــا فيــه ولا تــك مخســر الميــزان
فــإذا همــزت فجــيء بــه متلطفــا مــن غــير مــا بهــر وغــير تــوان
وامــدد حــروف المــد عنــد مسـكن أو همــزة حســنا أخــا إحســان .

(عمدة المجيدص٢٧) .

فالتجويد للحرف ميزان له والوزن الحق هو القسط والعدل أما الطغيان والخسران فكلاهما مذموم قبيح .

قال الله تعالى (ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) فأمر عز وجل بإقامة الوزن بالقسط ونهى عن الطغيان والخسران فيه .

فالمبالغة في التجويد كالتقصير فيه تماما ، فالمخل بالتجويد مسيء والمتكلف في التجويد مسيء

قال الخاقاني ـ رحمه الله .

زن الحرف لا تخرجه عن حد وزنه فوزن حروف الذكر من أفضل البر .

والمتكلف يخرج عن حده ووزنه ، وهو كمن أصابه الوسواس فلا يطمأن إلى القراءة إلا به ، ولهذا قلت هذه الأبيات محذرا إخواني من التكلف في تجويد القراءة :

لـولا التكلـف كنـتم أقـرأ النـاسِ ومـا علـيكم يعيـد اليـوم مـن بـاسِ
إن تسمعوا نصحي ونصح أئمتي ممـن قـرأت علـيهم غـير دسـاسِ
قطب وأحمد والبكري وغيرهما من كل شيخ روى القرآن نبراسِ
فـذروا التكلـف واقـرءوا بطبيعـة وزنـوا الحـروف الـوزن بالقسـطاسِ
فـإذا أتـى التفخـيم بعـد إمالـة فتلطفــــوا والله رب النــــاسِ
كـالآن حصحص لا تغلـوا فتنقلبـوا لا تفصلوا كالفضل في الإحساسِ
أو ما رأيـت الـراء كيـف تفخمـت في نحـــو إرصـــاد وفي قرطـــاسِ

والراء عن ورش بحيث تكررت   كي تستقيم وأختها في ساسِ
ورءوس آي العشر كيف تمايلت   كي تستقيم الراس مثل الراسِ
إن التناسق في القراءة حسنها   لا تقرأن بحرف النافر القاسي
إن المبالغ في الحروف تكلفا   كالمبتلى في الماء بالوسواسِ

نسأل الله الهداية للمسلمين ، وتوفيقهم لترتيل كلامه أفضل ترتيل بلا تكلف ولا تقصير .

مراتب القراءة

مراتب القراءة أربعة :

الأولى : التحقيق : وهو القراءة بتأن شديد يتمكن معه السامع من متابعة الحروف ، وذلك مستعمل في التعليم والتصحيح وتدريب اللسان على المهارة والإتقان .

قال ابن الجزري : وأما التحقيق فهو مصدر من حقق تحقيقا إذا أتى بالشيء على حقه وجانب الباطل فيه والعرب تقول : بلغت حقيقة هذا الأمر أي بلغت يقين شأنه والاسم منه الحق ومعناه أن يؤتى بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه . التمهيد [١ /٥٩] .

الثانية : الترتيل : وهو القراءة المتوسطة بين التأني والإسراع وهو أفضل المراتب لأن الأمر الإلهي أتى به صريحًا : (ورتل القرءان ترتيلا) وذلك الترتيل مستعمل في الصلاة لأنه يساعد على الخشوع والتدبر .

قال الخاقاني ـ رحمه الله ـ :

وَتَرْتِيلُنَا الْقُرْآنَ أَفْضَلُ لِلَّذِي   أُمِرْنَا بِهِ مِنْ لِبْثِنَا فِيهِ وَالْفِكْرِ

وقال ابن الجزري ـ رحمه ﷲ ـ : وأما الترتيل فهو مصدر من رتل فلان كلامه إذا أتبع بعضه بعضا على مكث والاسم منه الرتل والعرب تقول : ثغر رتل إذا كان مفرقا لم يركب بعضه بعضا قال صاحب العين : رتلت الكلام تمهلت فيه وقال الأصمعي : في الأسنان الرتل وهو أن يكون بين الأسنان الفرج لايركب بعضها بعضا وحده : ترتيب الحروف على حقها في تلاوتها بتلبث فيها .

سئل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – عن هذه الآية فقال : الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف وروى ابن جريج عن مجاهد أنه قال : أي ترسل فيه ترسلا وروى جبير عن الضحاك : أي أنبذه حرفا حرفا وروى مقسم عن ابن عباس : أي بينه تبيينا وقال علماؤنا : أي تلبث في قراءته وأفصل الحرف من الحرف الذي بعده ولا تستعجل فتدخل بعض الحروف في بعض ولم يقتصر – سبحانه وتعالى – على الأمر بالفعل حتى أكده بمصدره تعظيما لشأنه وترغيبا في ثوابه وقال تعالى { ورتلناه ترتيلا } أي أنزلناه على الترسل وهو المكث وهو ضد العجلة وقال تعالى : (وقرءانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) [الإسراء : ١٠٦] أي على ترسل . التمهيد [١ / ٥٩ ـ ٦٠] .

الثالثة : التدوير : وهي مرتبة أسرع من الترتيل شيئًا ما .

والرابعة : أسرع منها وهي : الحدر : وهو أسرع المراتب .

قال ابن الجزري ـ رحمه الله ـ :

وَيُقْرَأُ الْقُرْآنُ بِالتَّرْتِيلِ مَعْ حَدْرٍ وَتَدْوِيرٍ وَكُلٌّ مُتَّبَعْ

وهاتان المرتبتان ـ الحدر والتدوير ـ تستعملان في المراجعة حيث يكون القارئ حريصًا على مراجعة أكبر جزء من القرآن في أيسر وقت ولكن دون إخلال بالتجويد .

روى أبو عمرو عن نافع أحد الأئمة العشرة أنه قال : حدرنا أن لا نسقط الإعراب ولا نمد مقصوراً ، التحديد ص٩٣ .

بدعة الألحان والمقامات وتحريمها

اعلم أن القراءة بالألحان بدعة منكرة وطريقة محرمة لأنها ليست من هدي رسول الله ﷺ ولا من هدي أصحابه رضي الله عنهم وقد قال ﷺ : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) أي مردود عليه(مسلم برقم ١٧١٨) .

وقال ﷺ : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا ومشهورة شهرة تغني عن تخريجها تأمر بالاتباع وتنهى عن الابتداع ، والمتأمل في القراءة بالألحان ، والتي انتشرت بين المشاهير من قراء هذا الزمان لا يرتاب في تحريمها إذ هي لا تختلف في الأداء عن النوح والغناء ، بل وتصل إلى حد اللعب بالقرءان والاستهزاء ، وأنا ذاكر إن شاء الله تعالى من كلام السادة العلماء ما يقنع النبلاء وعلى الله التوكل وفيه الرجاء .

قال الجرجاني: التلحين : هو تغيير الكلمة لتحسين الصوت وهو مكروه لأنه بدعة . التعريفات (١ / ٩١)

وفي سنن الدارمي : (٣٥) باب كراهية الألحان في القرآن : (٣٥٠٢) أخبرنا عبد الله بن سعيد عن عبد الله بن إدريس عن الأعمش قال قرأ رجل عند أنس يلحن هذه الألحان فكره ذلك أنس .

(٣٥٠٣) حدثنا العباس بن سفيان عن ابن علية عن عون عن محمد قال : هذه الألحان في القرآن محدثة .

وقال ابن أبي شيبة ـ رحمه الله ـ : (٥) في التطريب من كرهه (٢٩٩٤٨) حدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عمران بن عبد الله بن طلحة أن رجلا قرأ في مسجد النبي ﷺ في رمضان فطرب فأنكر ذلك القاسم وقال :

يقول الله تعالى (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

(٢٩٩٤٩) حدثنا عبد الله بن إدريس عن الأعمش أن رجلا قرأ عند أنس فطرب فكره ذلك أنس .

(٢٩٩٥٠) حدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عبد الله بن أبي بكر أن زياد النميري جاء مع القراء إلى أنس بن مالك فقال له اقرأ فرفع صوته وكان رفيع الصوت فكشف أنس عن وجهه الخرقة وكان على وجهه خرقة سوداء فقال : ما هذا ؟ ما هكذا كانوا يفعلون وكان إذا رأى شيئا ينكره كشف الخرقة عن وجهه .مصنف ابن أبي شيبة(ج: ٦ ص: ١١٩) .

وقال أبو عوانة ـ رحمه الله ـ : (٦٩٤٠) حدثنا الدارمي ثنا حجاج بن نصير ثنا عمارة يعني ابن مهران قال كان الحسن يكره الأصوات بالقرآن هذا التطريب .

(٦٩٤١) حدثنا الدارمي ثنا الحجاج ثنا عمارة عن ثابت عن أنس أنه كان يكره هذا أيضا . (مسند أبي عوانة ج:٤ ص:٣٥٠ ، ٣٥١) .

وقال أبو نعيم ـ رحمه الله ـ : حدثنا إسحاق بن أحمد بن علي ثنا إبراهيم بن يوسف بن خالد ثنا أحمد ابن أبي الحواري قال سمعت أبا داود الطرسوسي يقول قلت لعبد الله بن المبارك : إنا نقرأ بهذه الألحان فقال : إنما كره لكم منها إنا أدركنا القراء وهم يؤتون تسمع قراءتهم وأنتم تدعون اليوم كما يدعى المغنون. حلية الأولياء (٨ /١٦٩)

وسئل أحمد عن قراءة الألحان فقال : بدعة . المقصد الأرشد (ج: ١ ص: ١٦٤).

وقال : دخلت على أبي عبد الله فقلت ما تقول في قراءة الألحان فقال : بدعة وفي رواية أنه قال : اتخذوه أغانيا اتخذوه أغانيا . (المقصد٢ /٨٠) .

وقال أبو إسحاق الحنبلي ـ رحمه الله ـ : وقال في الفنون سئل حنبل عن القراءة بتلحين فقال : مكروه إن لم أبلغ به التحريم وذكر معنى مليحا فقال إن للقرآن كتابة وتلاوة ثم إن هذا التلحين والترجيع لو سطر كان خارجا عن كون

هذا المكتوب مصحفا لأن الترجيع يعطي في الهجاء حروفا تخرج عن خط المصاحف. (النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر) (١ / ٧٣) .

وقال البهوتي ـ رحمه الله ـ : وكره أحمد والأصحاب قراءة الألحان وقال هي بدعة لما روي أن النبي ﷺ ذكر في أشراط الساعة أن يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم غناء ؛ ولأن الإعجاز في لفظ القرآن ونظمه ، والألحان تغيره فإن حصل معها أي الألحان تغيير نظم القرآن وجعل الحركات حروفا حرم ذلك وقال الشيخ : التلحين الذي يشبه الغناء مكروه ولا يكره الترجيع وتحسين القراءة بل ذلك مستحب لحديث أبي هريرة (ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به) رواه البخاري ، وقال ﷺ : (زينوا القرآن بأصواتكم) وقال :(ليس منا من لم يتغن بالقرآن) قال طائفة : معناه تحسين قراءته والترنم ورفع صوته بها. (كشاف القناع) (١ / ٤٣٣).

وقال أبو المناقب ـ رحمه الله ـ : وقوله في قراءة الألحان وقال جماعة إن غيرت النظم حرمت في الأصح وإلا فوجهان في الكراهة إطلاق هذين الوجهين من تتمة كلام هؤلاء الجماعة وقد قدم المصنف أن أحمد كره قرءاة الألحان وقال بدعة لا تسمع والصحيح من هذين الوجهين الكراهة إن لم يكن ذلك طبعا قال الشيخ في المغني والشارح إن لم يفرط في التمطيط والمد وإشباع الحركات فالصحيح أنه لا يكره وقال القاضي يكره على كل حال ورداه وإن أسرف في المد والتمطيط وإشباع الحركات كره ومن أصحابنا من كان يحرمه . انتهى . (الفروع ج: ٦ ص: ٤٩٤) .

وقال المناوي ـ رحمه الله ـ : ....(ونشئا يتخذون القرآن) أي قراءته (مزامير) جمع مزمار وهو بكسر الميم آلة الزمر يتغنون به ويتشدقون ويأتون به بنغمات مطربة وقد كثر ذلك في هذا الزمان وانتهى الأمر إلى التباهي بإخراج ألفاظ القرآن عن وضعها (يقدمون) يعني الناس الذين هم أهل ذلك الزمان أحدهم يغنيهم بالقرآن بحيث يخرجون الحروف عن أوضاعها ويزيدون وينقصون لأجل

موافاة الألحان وتوفر النغمات وإن كان أي المقدم أقلهم فقها إذ ليس غرضهم إلا الالتذاذ والاستمتاع بتلك الألحان والأوضاع . (فيض القدير ٣ / ١٩٥) .

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ : وروي عن النبي ﷺ أنه قال : (أحسن الناس صوتا من إذا قرأ رأيته يخشى الله تعالى) وروي عن زياد النميري أنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك فقيل له اقرأ فرفع صوته وطرب وكان رفيع الصوت فكشف أنس عن وجهه وكان على وجهه خرقة سوداء فقال : يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون وكان إذا رأى شيئا ينكره كشف الخرقة عن وجهه ، وروي عن قيس بن عباد أنه قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الذكر .

وممن روي عنه كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد والحسن وابن سيرين والنخعي وغيرهم وكرهه مالك بن أنس وأحمد بن حنبل كلهم كره رفع الصوت بالقرآن والتطريب فيه ، روي عن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم الناس فطرب في قراءته فأرسل إليه سعيد يقول : أصلحك الله إن الأئمة لا تقرأ هكذا فترك عمر التطريب بعد ، وروي عن القاسم بن محمد أن رجلا قرأ في مسجد النبي ﷺ فطرب فأنكر ذلك القاسم وقال : يقول الله ﷻ : (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) الآية ، وروي عن مالك أنه سئل عن النبر في قراءة القرآن في الصلاة فأنكر ذلك وكرهه كراهة شديدة وأنكر رفع الصوت به ، وروى ابن القاسم عنه أنه سئل عن الألحان في الصلاة فقال : لا يعجبني وقال إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم . (تفسير القرطبي ١ / ١٠ ، ١١) .

وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : وقد صح عن النبى أنه قال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقد فسره الشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهما بأنه من الصوت فيحسنه بصوته ويترنم به بدون التلحين المكروه.

مجموع الفتاوى (ج: ١١ ص٥٣٢) .

واعلم أن الذين خصوا في التطريب والألحان حال القراءة لم يطلقوا ذلك وإنما أرادوا تحسين الصوت بالقرءان ، وقيدوه بعدم التمطيط الذي يخرج القراءة عن حدها إلى حد النوح والغناء الذي يفعله كثير من مشاهير زماننا والذي لا يختلف في تحريمه .

قال ابن القيم ـ رحمه ﷲ ـ : وفصل النزاع أن يقال : التطريب والتغني على وجهين أحدهما : ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم بل إذا خلي وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز ، وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى الأشعري للنبي : لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا. والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع وعدم التكلف والتصنع فيه ، فهو مطبوع لا متطبع وكلف لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه وهو التغني الممدوح المحمود وهو الذي يتأثر به التالي والسامع وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها .

الوجه الثاني : ما كان من ذلك صناعة من الصنائع وليس في الطبع السماحة به بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها وأنكروا على من قرأ بها وأدلة أرباب هذا القول إنما تتناول هذا الوجه ، وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعا أنهم برآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها ويسوغوها ، ويعلم قطعا أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب ويحسنون أصواتهم بالقرآن ويقرؤونه بشجى تارة وبطرب تارة وبشوق تارة ، وهذا أمر مركوز في الطباع

تقاضيه ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له بل أرشد إليه وندب إليه وأخبر عن استماع ﷻ لمن قرأ به وقال : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) وفيه وجهان : أحدهما : أنه إخبار بالواقع الذي كلنا نفعله والثاني : أنه نفي لهدي من لم يفعله عن هديه وطريقته . زاد المعاد (١ /٤٩٢,٤٩٣) .

قال ابن حجر ـ رحمه ﷲ ـ: ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيرا في رقة القلب وإجراء الدمع وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره لا نزاع في ذلك فحكى عبد الوهاب المالكي عن مالك تحريم القراءة بالألحان وحكاه أبو الطيب الطبري والماوردي وابن حمدان الحنبلي عن جماعة من أهل العلم وحكى ابن بطال وعياض والقرطبي من المالكية والماوردي والبندنيجي والغزالي من الشافعية وصاحب الذخيرة من الحنفية الكراهية واختاره أبو يعلى وابن عقيل من الحنابلة وحكى ابن بطال عن جماعة من الصحابة والتابعين الجواز وهو المنصوص للشافعي ونقله الطحاوي عن الحنفية وقال الفوراني من الشافعية في الإباحة يجوز بل يستحب ومحل هذا الاختلاف إذا لم يختل شيء من الحروف عن مخرجه فلو تغير قال النووي في التبيان أجمعوا على تحرميه . (فتح الباري ج: ٩ ص: ٧٢) .

وقال المناوي ـ رحمه ﷲ ـ : (ليس منا) أي من العاملين بسنتنا الجارين على طريقتنا (من لم يتغن بالقرآن) يعني لم يحسن صوته به لأن التطريب به أوقع في النفوس وأدعى للاستماع والإصغاء وهي كالحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفيذه إلى أمكنة الداء وكالأفاوية التي يطيب بها الطعام ليكون الطبع أدعى قبولا له لكن شرطه أن لا يغير اللفظ ولا يخل بالنظم ولا يخفي حرفا ولا يزيد حرفا وإلا حرم إجماعا كما مر . فيض القدير (ج: ٥ ص: ٣٨٧) .

قال الشيخ زين بن إبراهيم ـ رحمه ﷲ ـ : وأما القراءة بالألحان فأباحها قوم وحظرها قوم والمختار إن كانت الألحان لا تخرج الحروف عن نظمها وقدوراتها

فمباح - كذا ذكر - وقدمنا في باب الأذان ما يفيد أن التلحين لا يكون إلا مع تغيير مقتضيات الحروف فلا معنى لهذا التفصيل . ا.هـ

البحر الرائق (ج: ٧ ص: ٨٨) .

وقال القرطبي - رحمه الله - : وأجازت طائفة رفع الصوت بالقرآن والتطريب به وذلك لأنه إذا حسن الصوت به كان أوقع في النفوس وأسمع في القلوب واحتجوا بقوله عليه السلام :(زينوا القرآن بأصواتكم) رواه البراء بن عازب ، أخرجه أبو داود والنسائي وبقوله عليه السلام :(ليس منا من لم يتغن بالقرآن) أخرجه مسلم وبقول أبي موسى للنبي ﷺ : (لوأعلم أنك تستمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا) وبما رواه عبد الله بن مغفل قال : قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسير له سورة الفتح على راحلته فرجع في قراءته .

وممن ذهب إلى هذا أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وابن المبارك والنضر بن شميل ، وهو اختيار أبي جعفر الطبري وأبي الحسن بن بطال والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم .

و القول الأول أصح لما ذكرناه ويأتي وأما ما احتجوا به من الحديث الأول فليس على ظاهره وإنما هو من باب المقلوب أي : زينوا أصواتكم بالقرآن . قال الخطابي وكذا واحد من أئمة الحديث : زينوا أصواتكم بالقرآن . وقالوا هو من باب المقلوب كما قالوا : عرضت الحوض على الناقة وإنما هو عرضت الناقة على الحوض قال : ورواه معمر عن منصور عن طلحة فقدم الأصوات على القرآن وهو الصحيح .

قال الخطابي : ورواه طلحة عن عبدالرحمن بن عوسجة عن البراء أن رسول الله ﷺ قال : (زينوا القرآن بأصواتكم) أي : الهجوا بقراءته واشغلوا به أصواتكم واتخذوه شعارا وزينة ، وقيل معناه الحض على قراءة القرآن والدءوب عليه ، وقد روي عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (زينوا أصواتكم بالقرآن) وروي عن عمر أنه قال : حسنوا أصواتكم بالقرآن .

وإلى هذا المعنى يرجع قوله عليه السلام : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) أي : ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن كذلك تأوله عبد الله بن أبي مليكة ، قال عبدالجبار ابن الورد سمعت ابن أبي مليكة يقول قال عبد الله بن أبي يزيد : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فإذا رجل رث الهيئة فسمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) قال فقلت لابن أبي ملكية : يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال : يحسنه ما استطاع . ذكره أبو داود ، وإليه يرجع أيضا قول أبي موسى للنبي ﷺ :(إني لوعلمت أنك تستمع لقرائتي لحسنت صوتي بالقرآن وزينته ورتلته)............ وقد قيل إن الأمر بالتزيين اكتساب القراءة وتزيينها بأصواتنا وتقدير ذلك أي زينوا القراءة بأصواتكم فيكون القرآن بمعنى القراءة كما قال تعالى : (وقرآن الفجر) أي قراءة الفجر وقوله : (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي قراءته وكما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : (إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان عليه السلام ويوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنا) أي قراءة وقال الشاعر في عثمان ﷺ :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به — يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

أي : قراءة ، فيكون معناه على هذا التأويل صحيحا إلا أن يخرج القراءة التي هي التلاوة عن حدها على ما نبينه فيمتنع .

وقد قيل إن معنى يتغنى به يستغنى به من الاستغناء الذي هو ضد الافتقار لا من الغناء ، يقال تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت ، وفي الصحاح تغنى الرجل بمعنى استغنى وأغناه الله وتغانوا أي استغنى بعضهم عن بعض قال المغيرة بن حبناء التميمي :

كلانا غني عن أخيه حياته — ونحن إذا متنا أشد تغانيا

وإلى هذا التأويل ذهب سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ورواه سفيان عن سعد بن أبي وقاص وقد روي عن سفيان أيضا وجه آخر ذكره إسحاق بن راهوية

أي يستغني به عما سواه من الأحاديث وإلى هذا التأويل ذهب البخاري محمد بن إسماعيل لإتباعه الترجمة بقوله تعالى : (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) والمراد الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم قاله أهل التأويل .

وقيل إن معنى يتغنى به يتحزن به أي يظهر على قارئه الحزن الذي هو ضد السرور عند قرائته وتلاوته ، وليس من الغنية لأنه لو كان من الغنية لقال يتغانى به ولم يقل يتغنى به ، ذهب إلى هذا جماعة من العلماء منهم الأمام أبو محمد ابن حبان البستي واحتجوا بما رواه مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : رأيت رسول الله ﷺ يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل[20] من البكاء .

قالوا : ففي هذا الخبر بيان واضح على أن المراد بالحديث التحزن ؛ وعضدوا هذا بما رواه الأئمة عن عبد الله قال قال النبي ﷺ : اقرأ علي فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فنظرت إليه فإذا عيناه تدمعان .

فهذه أربع تأويلات ليس فيها مايدل على القراءة بالألحان والترجيع فيها ، وقال أبو سعيد بن الأعرابي في قوله ﷺ :(ليس منا من لم يتغن بالقرآن) قال : كانت العرب تولع بالغناء والنشيد في أكثر أقوالها فلما نزل القرآن أحبوا أن يكون القرآن هِجِّيرَاهُمْ مكان الغناء فقال (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) .

التأويل الخامس : ما تأوله من استدل به على الترجيع والتطريب فذكر عمر بن شبة قال : ذكرت لأبي عاصم النبيل تأويل ابن عيينة في قوله يتغنى يستغني فقال : لم يصنع ابن عيينة شيئا . وسئل الشافعي عن تأويل ابن عيينة فقال : نحن أعلم بهذا لو أراد النبي ﷺ الاستغناء لقال : من لم يستغن ولكن لما قال يتغن علمنا أنه أراد التغني.

قال الطبري : المعروف عندنا في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع قال الشاعر : تغن بالشعر مهما كنت قائله   إن الغناء

---

[20] الأزيز بزايين الرعد وغليان القدر .

بهذا الشعر مضمار وتأويل سادس وهو ما جاء من الزيادة في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به) قال الطبري : ولو كان كما قال ابن عيينة لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى .

قلنا قوله : (يجهر به) لا يخلو أن يكون من قول النبي ﷺ أو من قول أبي هريرة أو غيره ، فإن كان الأول وفيه بعد فهو دليل على عدم التطريب والترجيع لأنه لم يقل يطرب به وإنما قال (يجهر به) أي يسمع نفسه ومن يليه ، بدليل قوله عليه السلام للذي سمعه وقد رفع صوته بالتهليل : (أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لستم تدعون أصم ولا غائبا) الحديث ، وسيأتي وكذلك إن كان من صحابي أو غيره فلا حجة فيه على ما راموه ، وقد اختار هذا التأويل بعض علمائنا فقال : وهذا أشبه لأن العرب تسمي كل من رفع صوته ووالي به غانيا وفعله ذلك غناء وإن لم يلحنه بتلحين الغناء قال : وعلى هذا فسره الصحابي وهو أعلم بالمقال وأقعد بالحال ،

وقد احتج أبو الحسن ابن بطال لمذهب الشافعي فقال : وقد رفع الإشكال في هذه المسألة ما رواه ابن أبي شيبة قال حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ : (تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من المخاض من العقل)[1] .

قال علماؤنا : وهذا الحديث وإن صح سنده فيرده ما يعلم على القطع والبتات من أن قراءة القرآن بلغتنا متواترة عن كافة المشايخ جيلا فجيلا إلى العصر الكريم إلى رسول الله ﷺ وليس فيها تلحين ولا تطريب مع كثرة المتعمقين في مخارج الحروف وفي المد والإدغام والإظهار وغير ذلك من كيفية القراءات ، ثم

[1] (٢١) كذا وقع عنده والمشهور عند غيره في الحديث وتغنوا به والمعروف في كلام العرب أن التغني الترجيع بالصوت . (فتح الباري ٩/٧١) .

إن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز ومد ما ليس بممدود فترجع الألف الواحدة ألفات والواو الواحدة واوات فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن وذلك ممنوع ، وإن وافق ذلك موضع نبر وهمز صيروها نبرات وهمزات ، والنبرة حيثما وقعت من الحروف فإنما هي همزة واحدة لاغير إما ممدودة وإما مقصورة.

فإن قيل فقد روى عبد الله بن مغفل قال : قرأ رسول الله ﷺ في مسير له سورة الفتح على راحلته فرجع في قراءته . وذكره البخاري وقال في صفة الترجيع : آء آء آء ثلاث مرات .

قلنا : ذلك محمول على إشباع المد في موضعه ويحتمل أن يكون حكاية صوته عند هز الراحلة كما يعتري كل رافع صوته إذا كان راكبا من انضغاط صوته وتقطيعه لأجل هز المركوب ، وإذا احتمل هذا فلا حجة فيه ، وقد خرج أبو محمد عبدالغني بن سعيد الحافظ من حديث قتادة عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال : كانت قراءة رسول الله ﷺ المد ليس فيها ترجيع .

وروى ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله ﷺ مؤذن يطرب فقال رسول الله ﷺ : (إن الأذان سهل سمح فإذا كان أذانك سمحا سهلا وإلا فلا تؤذن) أخرجه الدارقطني في سننه ، فإذا كان النبي ﷺ قد منع ذلك في الأذان فأحرى ألا يجوزه في القرآن الذي حفظه الرحمن فقال وقوله الحق : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقال تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

وهذا الخلاف إنما هو ما لم يفهم معنى القرآن إلا بترديد الأصوات وكثرة الترجيعات ، فإن زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق ، كما يفعل القراء بالديار المصرية الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز ، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز ضل سعيهم وخاب عملهم فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله ، ويهونون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه جهلا بدينهم ، ومروقا عن سنة نبيهم ، ورفضا لسير الصالحين فيه من سلفهم ،

ونزوعا إلى ما زين لهم الشيطان من أعمالهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فهم في غيهم يترددون ، وبكتاب الله يتلاعبون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، لكن قد أخبر الصادق أن ذلك يكون فكان كما أخبر ﷺ ذكر الإمام الحافظ أبو الحسين رزين وأبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث حذيفة أن رسول الله ﷺ قال:(اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل العشق ولحون أهل الكتابين وسيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوزحناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم)[١] .(القرطبي ١/ ١٢ ـ ١٥) .

ومن هذا العرض المجمل لكلام أهل العلم يتبين أن القراءة بالألحان من البدع المنكرة عند عامة أهل العلم ، فالواجب على أهل القرءان وحملته أن يحذروها ولايليق بهم أن يتعلموها فضلا عن أن يعلموها ، بل ولا يليق بهم أن يستمعوها .

نسأل الله ﷻ أن يحفظ أهل القرءان وحملته وأن يجملهم بكل خلق حسن ووصف جميل ، إذ هو وليهم ليس لهم من دونه من ولي ولا نصير .

وأما اللحن فمعناه الخطأ ومخالفة الصواب وبه سمي الذي يأتي بالقراءة على ضد الإعراب لحانا ، وسمي فعله اللحن لأنه كالمائل في كلامه عن جهة الصواب والعادل عن قصد الاستقامة . قال الإمام الخاقاني ـ رحمه الله ـ

فأول علم الذكر إتقان حفظه ... ومعرفة باللحن من فيك إذ يجري
فكن عارفاً باللحن كيما تزيله ... فما للذي لا يعرف اللحن من عذر

---

(٢٢) هذا الحديث ضعيف ذكره ابن الجوزي في العلل وقال رحمه الله : هذا حديث لا يصح وأبو محمد مجهول وبقية يروي عن حديث الضعفاء ويدلسهم . العلل المتناهية (١/ ١١٨) .

واعلم أن اللحن على ضربين : لحن جلي ولحن خفي ، فأما اللحن الجلي فهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بالمعنى والعرف كتغيير بعض الحركات عما ينبغي نحو أن تضم التاء في قوله تعالى : { أنعمت عليهم } أو تكسرها أو تفتح التاء في قوله : { ما قلت لهم } أو يخل بالعرف دون المعنى كرفع الهاء ونصبها من قوله تعالى : { الحمد لله } .

وأمااللحن الخفي فهو مثل تكرير الراءات وتطنين النونات وتغليظ اللامات وإسمانها وتشريبها الغنة وإظهار المخفى وتشديد الملين وتليين المشدد والوقف بالحركات كوامل وذلك غير مخل بالمعنى وإنما الخلل الداخل على اللفظ فساد رونقه وحسنه وطلاوته من حيث إنه جار مجرى الرتة واللثغة ، وهذا الضرب من اللحن لا يعرفه إلا القارئ المتقن .

[ملخصا من التمهيد في علم التجويد صفحة ٧٥، ٧٦] .

وقال الإمام السيوطي رحمه الله : وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنا فقسموا اللحن إلى جلي وخفي فاللحن خلل يطرأ على الألفاظ فيخل إلا أن الجلي يخل إخلالا ظاهرا يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم وهو الخطأ في الإعراب والخفي يخل إخلالا يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوه من أفواه العلماء وضبطوه من ألفاظ أهل الأداء . (الإتقان ١/٢٦٦).

والواجب اجتناب اللحنين جميعا على قدر الاستطاعة ، لوجوب تجويد القرءان وتصحيح القراءة كما قدمنا .

ونسأل الله عز وجل أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه وأن ينجينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يحفظ مصر وجيشها من كل سوء ، وأن يوفق ولاة أمورنا لما يحبه ويرضاه ، وأن يرد كيد الخائنين المفسدين إلى

نحورهم وأن يحفظ مصر وجيشها منهم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وكتبه / محمد بن عيد الشعباني

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

(ت) ٠١١١٤٥٦٧١٨٨ ، ٠١٠٠٨١١٣٨٣٦

(البريد الإلكتروني) alsha3bany@hotmail.com

alsha3bany@yahoo.com

الصفحة الرسمية (صفحة محمد بن عيد الشعباني)

حَمَاكَ اللّهُ يَا جَيْشَ الْكِنَانَهْ .... وَدَامَتْ مِصْرُ عَالِيَةَ الْمَكَانَهْ

فَمِصْرُ أَمَانَةُ الْجَيْشِ الْمُفَدَّى .... وَعَهْدُ الْجَيْشِ أَنْ يَرْعَى الأَمَانَهْ

وَمَنْ يَخْبِطْ لِكَسْرِ الْجَيْشِ يَخْبِطْ .... لِيَهْدِمَ مِصْرَ يَبْغِيهَا الْمَهَانَهْ

وَمَنْ يَسْتَعْدِ يَا إِخْوَانَ غَرْبًا ..... عَلَى مِصْرٍ فَقَدْ عَشِقَ الْخِيَانَهْ

فَقَدْ ظَهَرَتْ حَقِيقَةُ مَنْ يُنَادِي ..... عَلَى أَمْرِيكَا يَا بِئْسَ الْبِطَانَهْ

كَفَاكُمْ يَا أَعَادِي شَعْبِ مِصْرٍ ...... كَفَى الْخُوَّانُ ذَلِكَ مِنْ إِدَانَهْ

وَيَكْفِي اللهُ مِصْرَ بِخَيْرِ جُنْدٍ .... كَفَاهُمْ مِنْكَ يَا رَبُّ الإِعَانَهْ

من ديوان محمد بن عيد الشعباني .